قلاع الاسر...

ودورها في اذكاء المقاومة الفلسطينية

إعداد الأسير:

محمد ناجي صبحة

سجن مجدو 2012

إهداء ...

إلى الأسرى الأبطال

عنهُم نكتُب ...

ولفضلهم نوثّق ...

وَلَهُم نَنتَمي ...

تقديم ...

على طول الصراع مع الاحتلال الاسرائيلي كان للسجون والمعتقلات دورٌ هامٌ ومركزيّ في دعم وإسناد الساحة الفلسطينية بالقيادات والنُّخب من مختلف التنظيمات الفلسطينية التي كان لها دورٌ هامٌ ومباشر في قيادة العمل الوطني بمراحله المختلفة، سيما في الانتفاضتين، وتوجيه دفتهما، والتصدي للاحتلال.

لقد صمم وأعد الاحتلال هذه السجون لتكون مقابر للأحياء، تُقتل فيها روح الإنسان الفلسطيني، ويُدمّر جسدُه، ويشوّه فكرُه. وقد أعلن قادة الاحتلال ذلك غير مرة. ومن أشهر تلك العبارات قول أحد قادة مصلحة السجون الاسرائيلية: "يجب على الأسير الفلسطيني أن يخرج من سجنه كقطعة الجبن السويسرية الفاسدة".

لكن السحر انقلب على الساحر، وخاب الاحتلال في مسعاه، وفشل في مخططه. فقد استطاع الأسرى الفلسطينيين أن يحولوا السجون إلى معاقل وجامعات ومحاضن، تنمو فيها روح المقاومة لدى الأسير، وتطور فكره، وتصقل شخصيته، وتزيد من ثقافته. ليكون مقاتلاً على بصيرة، ويحمل غيره على درب المقاومة.

ولدينا نماذج عديدة، وأمثلة عملية سنتحدث عن بعضها باقتضاب في دراستنا، سنعرض خلايا جهادية، وأسرى محررين خرجوا من السجون ليقودوا النضال الوطني الفلسطيني ضد المحتل الصهيوني، فكان نصيب بعضهم الاغتيال والشهادة في سبيل الله. وآخرون كان نصيبهم العودة مرة أخرى للسجون بأحكام عالية ومؤبدة. وغيرهم حكموا بأحكام قصيرة ليخرجوا مرة أخرى ويعودوا من جديد إلى مقاومة الاحتلال، وقيادة الجماهير. إضافة إلى آخرين أُبعِدوا بعد اعتقالهم، ليواصلوا المشوار من خارج فلسطين.

بناءً على ما سبق، لاحظنا توجّه الاحتلال اليهودي لانتهاج سياسة الاغتيال مفضلاً إياها على (سياسة الاعتقال) -رغم أثرها السلبي عليه - خاصة ضد المقاومين الذين ينتهجون العمل العسكري. لأنه _كما يبدو _ وصل إلى قناعة مفادها أن السجون والمعتقلات بما تحويه من قسوة غير قادرة على "تهذيب" سلوك الفلسطيني المقاوم. وأن الحل الأمثل والنهائي هو قتله والاستراحة منه، عملاً بالقول الدارج عندهم "العربي الجيد هو العربي الميت".

هذه الدراسة نبحث فيها (أثر السجون في إذكاء نار المقاومة) ونقسمها إلى فصول...

الفصل الأول: - نعرض فيه لمحة عن نشأة السجون، وتشكل الحركة الوطنية الأسيرة، ومراحل تطورها، حتى صارت على ما هي عليه.

في الفصل الثاني: - نعرض باقتضاب أشكال المقاومة داخل الأسر، عسى أن نقدمه مفصلاً في دراسة خاصة.

الفصل الثالث: - هو جسم الدراسة، قسمناه إلى أبواب..

الباب الأول.. يتحدث عن العوامل التي جعلت الأسير رجل مقاومة ناجح، وبالتالي أفشلت الاحتلال في تحقيق هدفه الرئيس من الاعتقال وهو تدمير الأسير.

والباب الثاني.. نفصل فيه دور الأسير في إسناد المقاومة ودعمها وتفعيلها.

في الباب الثالث نتحدث عن نماذج لخلايا تشكلت داخل السجون وانطلق عملها منها، لتكون نماذج حيّة ودليلاً عملياً على صدقية ما ذهبنا إليه الدراسة.

وفي الباب الرابع نسرد عمليات الأسر التي شكلت العنوان الأبرز للمقاومة لأجل الأسرى.

فإن أصبنا فبتوفيقٍ من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

2013/05/04

جمادى الآخرة – 1434

الفصل الأول ...

الحياة داخل السجون.. تطوّرها.

تحدثنا في هذه الدراسة أن المحتل أراد من إنشاء هذه السجون إضعاف المقاومة، ومعاقبة كل من شارك بالمساس بأمن المحتل من جهة، ومن جهة أخرى تدمير هذا الإنسان، وتضييق الخناق عليه، وتعذيبه حتى لا يفكر بالعودة لأي عمل مقاوم مرة أخرى. ومن جهة ثالثة ردع كل من يفكر بالاحتذاء بهذه النماذج، وجعل الأسير عبرة سلبية له.

أنشأ الاحتلال سجون القهر منذ عدوانه واحتلاله لهذه الأرض. فقد علم يقينياً أن الاحتلال يقابله مقاومة تحتاج منه إلى قمع وتنكيل، والسجون خير وسيلة لذلك.

لقد كانت الحياة داخل السجون مع السنوات الأولى للاحتلال أماكن معدة للقتل والتعذيب. كانت تفتقر لأبسط المقومات الإنسانية، فقد كان الأسرى يوضعون في أماكن تشبه الاصطبلات [*]. وكان الطعام غاية في السوء والشح، والأسرى ممنوعون من جميع الامتيازات [1]. واستمر التعامل بهذه الطريقة لوقت طويل حتى بدأت السجون باستقبال مقاومين وأشخاص اعتلقوا على حدود فلسطين أثناء قيامهم بتنفيذ أعمال جهادية، وهم من اصطلح على تسميتهم (أسرى الدوريات).

كان أسرى الدوريات على درجة عالية من التنظيم، وفي ذات الوقت دخل السجون عدد من الكوادر وأصحاب الخبرة والكفاءة. فأحدث هؤلاء جميعاً التغيير في واقع السجون.

كانت الحياة داخل السجون تسير بنمط فردي، يواجه فيها كل أسير ظروفه القاسية، وتنكيل الإدارة، واضطهاد السجّان منفرداً. إلا أن الأسرى وجدوا أن هذا الواقع المرير لا يمكن مواجهته إلا بالعمل الجماعي، والجهد المنظم، فكانت بدايات تشكيل جسم تنظيمي في السجون. وكان الدافع الأساسي لذلك هو تحسين الوضع الحياتي اليومي للأسرى، ومواجهة السجان وإجراءاته القمعية.

---

[1] وكانت إدارة السجون تشغل الأسرى بالأعمال والأشغال المختلفة لتلهيهم عن الثقافة والتعبئة.

ومع مرور الوقت بدأ الأسرى بتنظيم أمورهم، ووجد السجان في ذات الوقت أنه من الايسر له أن يتعامل مع شخص كان يطلق عليه اسم (الشاويش)، بدل الحديث مع كل أسير على انفراد[2].

في هذه الأجواء ولدت الحركة الأسيرة الفلسطينية، والتي نستطيع أن نصفها بأنها الجسم الذي يمثل عموم الأسرى، ويتحدث باسمهم، وتفاوض عنهم، ويعرض مطالبهم وحاجاتهم، ويحافظ على روح المقاومة لديهم.

[2] وقد ألزم الأسرى إدارات السجون بالتعامل معهم عبر الشاويش، والذي أصبح اسمه بعد ذلك ممثل الأسرى.

تشكيل الحركة الاسيرة ...

في ظل هذه الظروف التي تحدثنا عنها تشكلت الحركة الأسيرة، وبدأت بتطوير نفسها، وتشكيل جسم أكثر تنظيماً، وأقوى بنية، يتحمل مسؤولية إدارة الواقع، والحفاظ عليه، والرقيّ به.

كان دور الحركة الاسيرة إدارة الواقع الداخلي بين الأسرى أنفسهم، وإدارة العلاقة بين التنظيمات المتواجدة في الأسر، وكذا إدارة العلاقة مع إدارة السجن الصهيونية بيومياتها، وما تتضمنه من مطالبات واحتياجات وخطوات نضالية واحتجاجات. ومن هنا برز مفهوم اللوائح الداخلية التي تنظم ذلك كله، وتفصل الحقوق والواجبات، وتبين الإجراءات وما هو مسموح وما هو ممنوع، وترشد الأسير إلى كيفية التعامل مع ذلك كله [3].

في السجن يحيى الأسير مع جماعة من إخوانه الأسرى، ولا يعيش منفرداً. ولذا فإن الحياة الجماعية تفرض عليه أموراً غير التي يمكنه القيام بها في الحرية، أو في ظل وجوده منفرداً.

عندما تشكلت الحركة الأسيرة بشكلها المنظم، ظهرت على صورة تنظيمات وفصائل، ينضوي تحت كل منها عدد من الأسرى بحسب رغباتهم واختيارهم. إلا أنها كانت مقتصرة في تلك المرحلة على فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى رأسها حركة فتح، كبرى الحركات الفلسطينية في تلك الحقبة. والتي كانت تقود الحركة الأسيرة، معتمدة على حجمها وإمكاناتها وخبرات عناصرها.

ومن اللوائح التي أنتجتها الحركة الأسيرة لاحقا – بالإضافة إلى اللوائح الداخلية – ما اصطلح على تسميته (اللوائح الوطنية أو ا لنضالية)، وهي اللوائح المختصة بضبط العلاقات ما بين التنظيمات داخل السجون، فتوزع الحصص، وتنسق المهام، وتحدد المسؤوليات، وتضبط الأدوار، وفق قوانين متفق وموقع عليها من هذه الفصائل.

---

(3) راجع كتابنا (التجربة الديمقراطية والمؤسسية لحركة حماس في السجون) وما يحويه من لوائح اعتقاليه.

مع هذا التطور مرت الحركة الأسيرة في تركيبتها وبنيتها بمحطات عديدة، فهي _كما أسلفنا_ مرت من حيث التنظيم بمرحلتين: -

مرحلة العفوية والارتجالية والفردية،

ثم مرحلة العمل المنظم، بكل ما حواه من تشكيل تنظيمي، ولوائح، وفعاليات.

أما من حيث تركيبة بالحركة الأسيرة من حيث تنظيماتها فقد مرت بمرحلتين أخريين: -

مرحلة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية،

ومرحلة الفصائل الوطنية والإسلامية.

المرحلة الأولى بدأت منذ تمكن الأسرى من تشكيل تنظيمات داخل السجون، وحتى الفترة التي تمكنت فيها الحركة الإسلامية من انتزاع تمثيل لها في هذه السجون. وهي وإن بدأت في بعض السجون في النصف الثاني من عقد السبعينات، لم تفرض واقعاً في سجون أخرى إلا في نهاية الثمانينات.

في هذه المرحلة كان التيار الإسلامي (ممثلاً بالإخوان المسلمين ثم الجهاد الإسلامي) ممنوعاً من التواجد كتنظيم، بل يتواجد أفراده في السجون منطوين فرادى تحت إطار أي فصيل من فصائل منظمة التحرير. وقد خاض هؤلاء الأفراد محاولات ومطالبات ثم خطوات ومواجهات، حتى استطاعوا الحصول على اعتراف بوجودهم تحت عنوان تنظيمي جديد اسمه (الجماعة الإسلامية)، ضم تحت جناحه كل من ينادي بالحل الإسلامي.

وبذلك دخلت السجون المرحلة الثانية، مرحلة الفصائل الوطنية والإسلامية. ولا شك أنها بدأت بخلافات وصراعات بلغت أحياناً إلى حد الاقتتال بالأيدي. إلا أنها بدأت تأخذ وضعية الاستقرار رويداً رويداً. وبدأت فصائل منظمة التحرير تستوعب وتتقبل وجود هذا الجسم الجديد.

مع الأيام بدأت الجماعة تكبر، ويزداد عدد أعضائها. حتى كانت الانتفاضة الأولى عام 1987، والإعلان عن ميلاد حركة المقاومة الاسلامية حماس، ودخول أعداد كبيرة من أبنائها وأبناء حركة الجهاد الإسلامي إلى السجون. فدخلت الجماعة مرحلة جديدة هي مرحلة التمايز، حيث انفصلت الجماعة إلى تنظيمين مستقلين (حركة حماس) و(حركة الجهاد الإسلامي).

في هذه المرحلة أيضاً دخل الشعب الفلسطيني عملية السلام التي أثمرت عن اتفاق أوسلو عام (1993)، وعلى إثر هذا الاتفاق بدأت حركة فتح تأخذ منحىً مختلفاً في النضال. وزاد دور الحركة الإسلامية بأطيافها في تصدر العمل المقاوم، وإدارة دفته، وبالتالي تأثرت أعداد الأسرى باتجاه زيادة عدد أسرى حماس والجهاد الإسلامي.

ولا ننسى في تلك السنوات حصول عمليات إفراج جماعية من أسرى منظمة التحرير بناءً على الاتفاقات الموقعة، فاختلفت الأعداد وثقلها ودور التنظيمات في إدارة واقع الحركة

الأسيرة "طبعاً لصالح الحركة الإسلامية "، حتى أصبح التمثيل الاعتقالي لعدد من السجون والمعتقلات من مسؤوليتها.

في العام (2000) دخل الشعب الفلسطيني مرحلة جديدة من مراحل الجهاد والنضال والمقاومة، مرحلة تميزت بشراستها وميولها إلى العمل العسكري المسلح. وانخرط الشعب الفلسطيني بكافة فئاته في أتون المقاومة ... (مرحلة انتفاضة الأقصى). وتبعاً لذلك تزايدت أعداد الشهداء والجرحى والأسرى. وامتلأت السجون بالمناضلين من جديد، لتثبت هذه السجون أنها تشكل مقياساً لحيوية هذا الشعب، ومؤشراً على مقاومته، ودليلاً على انخراط فئاته في رفض هذا الاحتلال ومقاومة وجوده.

ارتفعت الأعداد قرابة العشرين ضعفاً عما كانت عليه في أواخر التسعينات، وبقيت الأعداد مرتفعة حتى هدأت أوزار انتفاضة الأقصى، وخفت حدة المواجهة في العام (2005).

لكن الذي يعيش واقع السجون يدرك أن هذا الواقع تغير مع هذه الانتفاضة كثيراً، ليس فقط على مستوى أعداد الأسرى، بل ونوعياتهم واهتماماتهم.

الفصل الثاني: - مقاومة داخل الأسر...

لعل الكلمة الأبرز التي تصاحب الأسير في رحلة الاعتقال داخل السجون هي (المقاومة). فالأسير لم يحطّ رحاله في السجن مرتاحاً من عناء المقاومة، بل إن حياة الأسير مزيج من أشكال المقاومة، جوهرها (مقاومة إجراءات السجان)، بالإضافة إلى التعبئة التي تبقي ثقافة المقاومة حية في النفوس.

فالسجان يسعى دوماً إلى قتل الروح المعنوية لدى الأسير، يعمل على إذلاله وكسر عنفوانه. وهو يسعى إلى فصله عن محيطه والحد من تأثيره، كي يكون الأسير ميتاً مع وقف التنفيذ.

والسجان يسعى إلى غرس عدد من الأفكار والقناعات الهدامة والسلبية في ذهنه، والتي تشكك في عدالة قضيته، وتشعره بالوحدة والوحشة في الطريق، وتدخل إليه اليأس من الانتصار، وعدم جدوى كلّ ما يقوم به من جهود.

والسجان يسعى فوق ذلك كله إلى إسقاط الأسير وتمريغه في وحل الخيانة، ليكون أداة (طيعة) بيد عدوه.

وهو بذلك كله يعاقبه.. و(يحيره).. ويضلله.. ويسقطه.. فإن نجح في مسعاه فإنه بذلك يخرّج من السجن أجيالاً مدمّرة، ويتخلص من شريحة طليعية من شرائح المجتمع.

ولأجل ما سبق فإن الأسرى وحركاتهم المقاوِمَة تشعر دوماً بعبء المسؤولية، وثقل الأمانة، وتدرك حجم المؤامرة، وتجتهد في إيجاد السبل الكفيلة برد الهجمة، ومواجهة المؤامرة، ودفع الخطر، وقلب ظهر المجن في وجه الاحتلال ومؤسساته.

فقد انقلبت السجون إلى مدارس ثورية، وبؤر إعداد ومعسكرات مواجهة. وقد نجح المقاومون في ذلك بنسب مُرضية، إلا أنها بقيت مُتأرجحة.

وقد تعددت صور التحدي والمواجهة تبعاً لأشكال إجراءات السجان وأساليبه وخداعه. فالأسلوب الفكري يواجه بالفكرة... والأسلوب التضليلي يواجه بالتثقيف

والتعبئة... وأسلوب العزل والتحييد يواجه بإيجاد أساليب التواصل مع المجتمع والمشاركة في همومه وآماله.

لقد كانت أشكال المواجهة التي يعيشها الأسير مرتكزة على أساسين، هما: -

مواجهة الواقع الحياتي الذي يعيشه الأسير،

والمواجهة الفكرية.

أولاً/ مواجهة الو اقع الحياتي الذي يعيشه الأسير.

والتصدي لخطوات الإدارة الصهيونية القمعية التي تهدف إلى ما أشرنا إليه من الإذلال وتضييق الخناق والحرمان.

فمنذ اللحظة الأولى لنشأة السجون الصهيونية وإدارتها تحاول منع الأسير من أبسط حقوقه، فتضيق عليه الخناق في طعامه وشرابه ولباسه، وتمنع عنه وسائل الراحة والترفيه، وتسنّ بحقه القوانين الجائرة التي تحيل حياته جحيماً.

ولو نظرنا إلى الظروف الحياتية التي عاشها الأسير في السنوات الأولى للاحتلال بعد عام 1967 سنجدها في غاية السوء. فلم يكن يسمح للأسير باقتناء الكتب والأوراق والأقلام. وكان الطعام من حيث كميته ونوعيته وجودته غاية في السوء، ولم تكن (الكنتين) دكان السجن موجودة أو مسموح بها. ولم يكن عند الأسرى راديو أو تلفاز أو صحف أو أي من وسائل الإعلام، كما كان حق التعليم مُصادراً، وكذا نظام الفورات (الخروج اليومي إلى ساحة السجن) وسوء ظروف الغرف الاعتقالية ... إلخ.

هكذا بدأت أحوال السجن وظروف الأسرى الاعتقالية، ثم تحسّنت بعد ذلك كثيراً، فما الذي حسّنها؟؟ لقد كانت الخطوات النضالية التصعيدية، والمطالبات المتكررة التي اعتاد الأسرى على ممارستها واللجوء إليها للمطالبة بحقوقهم، ومواجهة الهجمات الشرسة التي تنفذها إدارات السجون بحقهم، ولا يدرك هذا المعنى إلا من عاشه واقعاً.

على رأس هذه الخطوات، وأصعبها وعنوانها **(معركة الأمعاء الخاوية) الإضراب المفتوح عن الطعام**، فهو أبرز أساليب المقاومة والمواجهة، وأبلغها أثراً، وعشرات

الخطوات وأساليب المواجهة التي كان لها الأثر في إحداث التغيير، فلولاها – بعد فضل الله – وما صاحبها من آلام وعرق ودماء بل وشهداء لما أصبح الواقع الاعتقالي على ما هو عليه.

ثانياً / المواجهة الفكرية: -

فقد قدمنا أن الاحتلال يحاول أن يؤثر في ذهنية الأسير، وأن يغرس فيها مفاهيم مغلوطة، وقناعات مشوهة تخالف وطنيته وانتماءه، كالتشكيك بصدقية قضيته، وإمكانية انتصار ثورته، أو نزع ثقته بقيادته الوطنية والتنظيمية.

ويستخدم الاحتلال في سبيل ذلك وسائل عدة، بدءاً من مرحلة التحقيق في بداية الاعتقال، وما يتخللها من حوارات ونقاشات ممنهجة في أجواء ضاغطة، يجريها محققون خبراء مجربون، وأطباء نفسيون متخصصون ثم تمارس إدارة السجن ذات الدور عبر ضباط الاستخبارات أو مسؤول الأمن، وعموم موظفي مصلحة السجون الصهيونية. ثم يستخدموا عملاءهم وأذنابهم داخل السجن _ أحياناً_ للوصول إلى ذات الهدف.

وهنا يأتي دور الحركات في إعداد البرامج التثقيفية، والخطط التعبوية التي سيواجهون بها مخططات إدارة مصلحة السجون، وأجهزة الاحتلال على وجه العموم.

فيُعدّ كل تنظيم برنامجاً ثقافياً عاماً متعدد الأغراض، على رأسه المواجهة التي ذكرنا. فيتخلله لقاءات تبصر الأسير بتاريخ أرضه وشعبه، ومبادئ حركته ومرتكزات ثورته، وتاريخ عدوه الغاصب الذي سرق الأرض دون أن يكون له فيها حق.

كما يتضمن البرنامج أنشطة ونشرات تفضح أساليب العدوّ في ضرب المقاومين عسكرياً وسياسياً وفكرياً واجتماعياً. وتنشر كل جديد يتعلق بهذا الاتجاه، عبر تعميمات ونشرات داخلية، فمن أجل هذا الغرض تشكلت لجان توعية أمنية وثقافية وسياسية.

إن أحد أساليب المواجهة الفكرية التي مارسها الأسرى في سجون الاحتلال هو إعداد الدراسات الأمنية والجهادية الفكرية التي تناقش قضايا حساسة ذات اهتمام، وتجد لها الحلول اللازمة.

فمثلاً تجد العديد من **الدراسات الأمنية** التي تناقش مسألة الاعتقال والتحقيق وأساليبه النفسية والجسدية، ووسائل الصمود وعدم الاعتراف... إضافة إلى معضلة العصافير "العملاء"، تاريخها، وأساليبها، وطرق الوقاية منها... وقضية الإسقاط في وحل الخيانة والوسائل التي يستخدمها الاحتلال في سبيل ذلك لمواجهتها. وغيرها من الدراسات الأمنية، التي لا تكاد تجد أياً منها أُعِدّ بغير أقلام الأسرى، إذ هُم أصحاب التجربة الحيّة.

إضافة إلى **الدراسات الجهادية** التي تناقش العمل المقاوِم، ضمن شقين: -

الشق التحريضي التعبوي، ومحاولة حث الناس على التزام المقاومة، والانخراط في أعمالها وأنشطتها، وحثّهم على التضحية والفداء حتى الشهادة.

والشق التوجيهي التعليمي، بحيث يناقش العمل المقاوِم بتكتيكاته وممارساته. فتبحث في التجربة الفلسطينية بفصائلها، من حيث النجاحات والإخفاقات في الأداء. وتخلص من خلال ذلك إلى توجيهات إرشادية للمقاومين. كما توثق أحداث المقاومة، وعملياتها، وأبطالها، وأمجادها. فالأسرى هم أصحاب التجربة، والأقدر على فعل ذلك.

وأخيراً **الدراسات الفكرية والسياسية والثقافية المتنوعة** التي تخدم القضية، وتواجه الاحتلال، وتجعل الأسير حاضراً في المجتمع بكتاباته حتى وإن غيبته السلاسل والجدران.

الفصل الثالث ... دور الأسير في تفعيل المقاومة.

الباب الأول: - عوامل **تساعد الأسير ليكون رجل مقاومة ناجح.**

الباب الثاني: - **دور الأسرى في دعم المقاومة.**

الباب الثالث: - **نماذج لمقاومة تشكّلت في السّجون.**

الباب الرابع: - **عمليات الأسر منذ الانتفاضة الأولى.**

الباب الأول ...

عوامل جعلت من الأسيررجل مقاومة ناجح.

تجتمع جملة عوامل ومسببات تجعل الأسير مهيئاً للمساهمة في العمل الوطني أكثر من غيره من أفراد المجتمع، وأن يكون مقاوِماً مجاهداً ناهضاً بدوره. عوامل تتعلق بواقعه -الإعتقالي، وطبيعة الظروف التي يضعه فيها الاحتلال، والمؤثرات الحسية والنفسية التي تؤثر عليه فتدفعه إلى مقاومة الآلام التي يمر بها، والمخاوف المتولدة لديه جراء مكوثه في الأسر لفترة ليست قصيرة، وما يصاحب السجن من مرارة وقسوة.

فقد أراد الاحتلال من السجن أن يفت من عضد المقاومين وأن يؤثر في نفسياتهم، وأن يهزّ انتماءهم لوطنهم، وأن يجعله رادعاً ومانعاً من الاستعداد للتضحية في سبيل هذا الانتماء.

إلا أن عمق الإيمان بالله، وما أعده للمجاهدين من نعيم، وصدق الانتماء لهذا الوطن، بالإضافة إلى ما سنذكره من بنود وملاحظات تفصيلية، تساهم في جعل الأسير جزءاً لا يتجزأ من العمل المقاوم، بل على رأسه، ووقوده المتجدد. [4]

---

[4] خير ما وجدته يصدق هذا الكلام، وصف الشيخ يوسف القرضاوي حال السجون في قصيدته، التي يقول في البعض منها: -

قالوا إلى السجن قلتُ شُعبةٌ فُتِحَت ... ليجمعونا بها في اللهِ إخوانا
قالوا إلى السجن قلتُ السجنُ مؤتمرٌ ... فيه نقرر ما يخشاهُ أعدانا
فَهُوَ المُصلّى نربي فيه أنفسنا ... وهو المصيف نربي فيه أسرانا
معسكرٌ صاغنا جُنداً لمعركةٍ ... ومعهدٌ زادنا بالحقّ عرفانا
من حرموا الجمع منا فوق أربعةٍ ... جمعوا الألوفَ بساحِ السجنِ أسدانا
راموه منفىً وتضييقاً فكانَ لنا ... بنعمة الحب والإيمان بُستانا
هذا هو السجن شاءوا أن نذوبَ به ... وشاءَ ربُّكَ أن نزدادَ إيمانا

ديوان نفحات

ولفحات/ القرضاوي

1- البرنامج الثقافي الذي يتلقاه الأسير...

فالأسير المقاوم الذي يعيش يومياً مع التعبئة الثقافية والنفسية المقاومة. فلا يكاد يمر عليه يوم إلا وفيه لقاء ومحاضرة، أو تعميم وبيان، أو نقاش ومحاورة. تصب بمجملها باتجاه تبصير الأسير بعدالة قضيته وأحقيتها، وتحريضه على ا لقيام بحقها والتضحية في سبيلها، ووضعه على طريق المواجهة وأساليبها، وإطلاعه على تجارب من سبق بسلبياتها وإيجابياتها.

هذه الثقافة تجعل المقاومة والتضحية والعمل الوطني قناعة لدى الأسير ومنهج، وليس مجرد هواية أو اندفاع عاطفي سرعان ما يفتر...

في المقابل فإن الثقافة خارج السجن لا تملك مثل هذا التركيز ولا تحمل كل هذا التوجيه، ولا تدفع نحو هذا الهدف. ولو أردنا أن نوثق كلامنا ببعض التعميمات التي تقرأ بصورة شبه يومية في غرف الأسرى لوجدناها لا تخلو من مقدمة ثورية، وخاتمة تحريضية، وهذا ما يتحقق في كل تعميم، حتى سميت هذه التعميمات باسم (التعميم الوطني).

ولجعل ثقافة الأسرى تصب بمعظمها نحو هذا الهدف فإن **مسميات المرافق والمؤسسات التنظيمية** توحي بنفس المعنى، فمثلاً: -

الغرفة.. تسمى (خلية). والقسم.. يسمى (كتيبة). والسجن.. يسمى (قلعة). ولجنة التنسيق الفصائلي.. تسمى (اللجنة الوطنية، أو النضالية). الخطوات الاحتجاجية.. تسمى (خطوات نضالية). ويوم العمل والنشاط.. يسمى (يوم جهادي)..

وكل سجن من السجون يسمى باسم شهيد أو معركة، وكذلك الأقسام والغرف..

ولك أن تتخيل ما ستغرسه كل تلك المسميات في النفوس، وما ستؤثر عليها من إيحاءات، وما ستشير إليه من خلفية.

إذاً فالبرنامج الثقافي في السجون يقوم بدور: التوعية، والتعبئة، والتحريض، فهو برنامجٌ مُقاوِم.

2- الوسط الذي يعيش معه الأسير...

وأقصد نوعية الأناس الذين يحيى الأسير برفقتهم في غرف وزنازين السجن أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، ولشهور بل سنوات طويلة. فكل إنسان يتأثر بمحيطه، والأسير أكثر تأثراً بهذا المحيط كونه يمثل حياته كلها، في مأكله ومشربه وملبسه ونومه ونقاشه وصحبته ومشاعره...

هذا الوسط الذي يحيى به الأسير ذو طبيعة خاصة، ويمتلك سمات تدفع إلى الاتجاه الذي نتحدث عنه، ومنها: -

* أنها شريحة مقاومة دخلت السجن تحت عنوان مشترك، هو العمل الوطني المقاوم "بكل أشكال المقاومة"، وبالتالي فهي تملك تصوراً داعماً للمقاومة.

هذه الشريحة في كثير من عناصرها تملك الاستعداد للبذل والتضحية والمشاركة في العمل الوطني، وإنْ بنسب متفاوتة. لذا فإن الأسير بوجوده مع هؤلاء فإنه يجد نفسه جزءاً منهم سلوكاً، وتصوّراً، ورؤية.

* وجود العديد من قيادات العمل الوطني والسياسي والعسكري والتنظيمي، وأصحاب المواقع المتقدمة في المقاومة. هذه القيادات ذات قدرة على ربط الخيوط، وإيجاد قنوات تواصل بين من يرغب في العمل وبين تنظيمه. الأمر الذي يسهل على من يبحث من الأسرى عن الانخراط في العمل المقاوِم من جديد، ويوجد له فرصة تفوق غيره.
* أبرز سمة يتمتع بها هذا الوسط عن غيره هي وجود الخبرات العملية والتجارب الجهادية المباشرة، وتوفر غالبية أشكال الخبرة التي يحتاجها المجاهد.

فالأسير في سجنه يلتقي بالعشرات بل بالمئات ممن شاركوا في العمل العسكري، والعمل التنظيمي، والعمل النقابي، والعمل السياسي. يلتقي بمن نفذ كبرى العمليات التي تسمع بها على الإعلام، وكذلك بمن أخفق بمهمّته، أو كان نجاحه فيها جزئياً، فأصبح لهذا تجربة نجاح، ولذاك تجربة فشل.

تجارب تشكل دروساً يستطيع تعلمها من يرغب ممن يعيش مع هؤلاء الأسرى بين أربعة جدران، فيخرج من عندهم وقد اكتسب من خبراتهم ما يؤهله للنجاح.

ولا شك أن الأسير يجد الوقت لسماع القصص والتجارب، ثم نقاشها. بل لديه شغف بسماعها من فم أصحابها وصُنّاعها، كما أن التنظيمات كثيراً ما ترتب لقاءات عامة مع أصحاب التجربة ليتحدثوا أمام الجميع عنها، فينفعوهم بها.

ولو أردنا أن ندلل على قولنا لاستعرضنا عشرات القصص التي تؤكد صدق قولنا، وسنقوم في هذه الدراسة (في باب آخر) باستعراض قصص بعض الخلايا التي كان وجود أعضائها في السجن سبباً في انطلاقها للعمل الناجح بعد الإفراج، وإنجازها عملياتٍ أسفرت عن عشرات القتلى ومئات الجرحى.

لكننا _قبل ذلك_ نبرهن على قولنا بتجربة عشناها في **سجن جنيد أعوام (1998-2000)** إبّان اعتقالنا لدى أجهزة السلطة الفلسطينية. ورغم أن الاعتقال كان لدى أجهزة السلطة إلا أن ظروفه توافق ما سبق ذكره، ولذا فهو يعطي مثالاً دليلاً واضحاً.

كنا نعيش ذاك الاعتقال قرابة (48) مجاهداً، منا القادة السياسيين كالشهيد (جمال منصور) والشهيد (يوسف السركجي) والشيخ (عدنان عصفور). ومنا القادة العسكريين كالشهيد (إبراهيم بني عودة) والشهيد (مهند الظاهر) والشهيد (إياد الحردان)، ومنا القادة النقابيين الجامعيين، والنشطاء الميدانيين.. فكان الجو العام دافعاً إلى المقاومة محرضاً عليها، داعماً للانخراط فيها، وكان وجود القادة والخبرات ميسراً لذلك.

فقد كان وجود قائد كالشيخ (يوسف السركجي) والقائد (إبراهيم بني عودة) كفيلاً بفتح خط عسكري نشط، خلال طريق قصير ومباشر، ففتحت خطوط وتشكلت خلايا _ ومنها خليتنا _ وكان وجود الخبرات كفيلاً بالبدء من نقطة متقدمة، فماذا كانت النتيجة ...؟! كانت انخراط عدد كبير من الاسرى في الموقع في العمل العسكري وتنفيذهم عشرات العمليات ومن ثم استشهاد (24) مجاهداً من أصل (48) الذين كانوا هناك، واعتقال معظم الباقي بتهمة الانخراط والمشاركة في المقاومة، أحكام بعضهم مؤبدة، كالمجاهد عباس السيد.

وخرجت من ذاك السجن خلايا عسكرية اعتبرت من بين الأنشط في مناطقها، وأسماء لامعة أصبحت في عداد الشهداء.

3- شبكة العلاقات الاجتماعية...

فمن دخل السجن يدرك أن الأسرى خليط من الأعمار والمناطق والثقافات والمستويات، ففيهم الصغير والكبير، الغني والفقير، الأميّ والمتعلّم، ابن المدينة وابنا لقرية وابنا لمخيم الموظف والمهني والطالب.

إن هؤلاء موزعون على جميع أنحاء الوطن، فلن تجد محافظة أو مدينة أو حتى قرية إلا ومنها عدد من الأسرى، فإذا أراد المناضل أن يسلك طريق المقاومة، وفكر بالاستعانة بأحد ما فإن خياراته تكون مفتوحة متسعة متنوعة متميزة. فإذا أصبح مطارداً فإن هذه الشبكة من المعارف بمكنها أن توفر له ملاذاً آمناً. وإذا أراد أن يشكل خلية فإنه الأقدر على ذلك، وفي أي محافظة أراد. فهل ترى أحداً يملك كل هذا الكم الكبير من المعارف كما الأسير.

لقد حاولت أن أحصي عدد من التقيت به في فترة اعتقالي فوجدته رقمٌ أمامه أربعةُ أصفار. وهكذا هم الأسرى في لقاءٍ ووداع دائمَيْن، وتنقلاتٍ لا تتوقف بين السجون، وفي كل قسم من هذه السجون لا يقل عن مئة أسير، وكل سجن يحوي عدة أقسام تزيد بعضها عن الخمسة.

لقد أدرك العدو أهمية هذه الشبكة فوجدناه دائم التركيز عليها في عمليات التحقيق التي يجريها جهاز الشاباك مع الأسرى لكنه هو الجاني على نفسه، فقد اقترفته يداه، لأنه هو من يجمع الأسرى داخل السجون.

4- إطلاع الأسير على الواقع الإسرائيلي، ومعرفته باللغة العبرية...

فلو أردتَ أن تسأل عن أكثر الفلسطينيين معرفة بالواقع الإسرائيلي، وخبايا مجتمعه، ومواطن ضعفه ونقاط قوته، وسماته وعاداته، لجاءتك الإجابة سريعة صريحة إنهم الأسرى، فالأسير يتعامل يومياً مع إدارة السجن الصهيونية، فيتعرف إلى الضباط والجنود ليعرف عاداتهم وسلوكهم ويستمع إلى اهتماماتهم وتوجهاتهم.

والأسير يتقن اللغة العبرية، وهي مفتاح الثقافة الإسرائيلية، ولذا فهو دائم الاستماع إلى نشرات الأخبار باللغة العبرية، وما تحويها من تحليلات ومقابلات، هذه الأخبار تركز على الواقع الإسرائيلي من الداخل، تشرح مشاكله، تعرض فضائحه، وتناقش نقاط ضعفه. يتخللها

معلومات تفصيلية عن الأماكن والمدن والمواقع والأشخاص والمسؤولين، كل ذلك يجعل الأسير أكثر معرفة بعدوّه، وأعمق دراية بشأنه من غيره.

كما أن اللغة العبرية تخدم المجاهدين في بعض الأعمال الجهادية وعلى رأسها عمليات الأسر (الخطف)، إذ أن هذا اللون من المقاومة يحتاج إلى احتكاك وتماس مع العدو، ويستخدم أسلوب الاستدراج، فيحدث التواصل بين المقاوِم والهدف (العدو) ليحاول _ بالعبرية_ إقناعه بمرافقته. ثم إنه يلزمه بعد ذلك محاورته والتعامل معه أثناء سيره.

إذاً فمعرفة اللغة العبرية ميزة للمقاوِم، تخدمه في التعرّف إلى عدوّه، وتجنّب مكره، وتمنحه المزيد من القدرة على ضربه.

وأخيراً... فإن الأمور المهمة التي تجعل الأسير أكثر قدرةً على الفعل من غيره أن قضيته حاضرة في ذهنه أكثر من غيره. فقد كانت حاضرة في ذهنه قبل الاعتقال، فترجم هذا الحضور إلى فعلٍ مُقاوِم موجّه إلى عدوّه. ثم ارتفعت وتيرة حضورها في ذهنه داخل الأسر إلى درجة تفوق أي وسط آخر.

فهو يعيش المواجهة يومياً مع سجانه الصهيوني المتخصص في قمعه وإذلاله واضطهاده وسلبه حريته وإيذائه والتضييق عليه. فهو على حالة عداء وتماس مع هذا السجان، تماس يدفعه نحو المزيد من النضال والمقاومة التي تتسم بطابع مختلف عنها خارج السجن، لكنها مقاومة على أي حال..

سلاحها الأمعاء الخاوية والعقول النيّرة ... زادُها الصبر والإيمان والإصرار ... ميدانُها ساحةُ السّجنِ وزنازينه ... أبطالُها الأسرى بصدورهم العارية ...

الباب الثاني: - دور الأسرى في دعم المقاومة...

ذكرنا أن الأسير ذو أثرٍ في العمل المقاوم، يدفعه نحو الأمام، بمشاركته وانخراطه في المقاومة قبل اعتقاله، أو بعد الإفراج عنه، وفي مرحلة وجوده في الأسر عبر وسائل عدة أشرنا إليها بين السطور في فصل سابق.

نقف في هذا الفصل بشيء من التفصيل مع دور الأسير في تفعيل المقاومة وخدمتها ودعمها، عبر المحاور التالية:

1- **الدور الفكري**
2- **إمداد المجتمع بالمقاومين**
3- **الإلهام والتحفيز**

يتميز الأسير غالباً بثقافة عامة، وسعة إطلاع، ومعرفة بتاريخ قضيته ومبادئ ثورته، مرد ذلك إلى عدة أمور، أولها سعة الوقت وكثرة الفراغ الذي يملكه الأسير في سجنه، مما يتيح له فرصة القراءة والكتابة والاطلاع، فيخرج بعض الأسرى وقد قرؤوا مئات الكتب والدراسات وهذا لا يتاح بذات القدر لمن هو خارج السجن، فهو مشغول بجامعته أو مهنته أو بأهله وعائلته، أو بها مجتمعة.

ثم لما خرج من سجنه قدم هذه المعلومة مشافهةً إلى غيره فمارس دور التحريض والتثقيف والتوجيه.

1- إمداد المجتمع بالمقاومين ...

تحدثنا أن معظم القيادات الفلسطينية من كافة الفصائل وعلى كل المستويات (السياسية، والنضالية، والأمنية) ما هي إلا جزء ممن تخرج من محاضن السجون. بل إن أكثرها صدقية وتأييداً في الشارع هي التي ذاقت مرارة الأسر.

لا نريد في أوراقنا هذه أن نتحدث عن جميع المستويات، بل سيكون حديثنا مقصوراً على المقاومة والنضال.

وقد أفردنا عنواناً مستقلاً يحوي أمثلة ونماذج لأسرى خرجوا من سجونهم، فمارسوا وقاوموا وشاركوا وفعّلوا المقاومة المسلحة والمقاومة بكل أشكالها.

ولا بأس من عرض أمثلة إضافية في هذه السطور، نماذج لمجاهدين ومناضلين قضوا في سجون الاحتلال زمناً غير قليل، حتى شكّلت جزءاً مهماً من ذهنيتهم وقدراتهم:

الشهيد (أحمد الجعبري) قضى في سجنه (11) سنة، ثم خرج ليمارس المقاومة المسلحة، ثم ليقود كتائب القسام في قطاع غزة. ويبقى همّ الأسرى في ذهنه حتى أشرف مع إخوانه على عملية أسر الجندي (جلعاد شاليط)، وأصبح عضواً في اللجنة المسؤولة عن التفاوض (لإنفاذ) صفقة (الوفاء للأحرار) التي أطلقت أكثر من ألف أسير. ثم قضى شهيداً في 11/14/ 2012م.

الشهيد (نعمان طحاينة) قضى في سجنه خمس سنوات ونصف، ثم خرج ليصبح أحد أعلام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وانتهى به المطاف مطارداً لقوات الاحتلال يقود العمل حتى قضى شهيداً. قال عنه قادة الحركة (أن استشهاده يعدّ الخسارة الأكبر للحركة بعد اغتيال الشقاقي).

الرفيق (ربحي حداد): - عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية، وأحد مسؤولي العمل العسكري فيها، خرج في صفقة جبريل وبقي على دربه حتى كانت شهادته في اشتباك مسلّح في مدينة نابلس.

الشهيد (نايف أبو شرخ): - قضى في سجنه طويلاً، وخرج ليتسلم دفة قيادة كتائب شهداء الأقصى في منطقته، وبقي مطارَداً لوقتٍ طويل، نفذ خلالها أعمال جهادية عديدة، حتى تمكن الاحتلال الإسرائيلي من قتله مع عدد من إخوانه.

الشهيد (عادل عوض الله) قضى في سجنه ثلاث سنوات ثم خرج ليشارك إخوانه في الضفة العمل الجهادي، ثم يقود العمل العسكري، ويعمل على تشكيل هيئة أركان مشتركة لكتائب القسام في الضفة، قبل أن يختاره الله شهيداً في العام 1998م.

ونحن عندما نعرض هذه النماذج إنما هي أمثلة للاستدلال لا الحصر، فالمؤشرات تقول أن نسبة قادة ومفكري وشهداء الحركة الوطنية الذين تخرجوا من مدرسة الأسر. فالأمثلة أكثر من أن تحصيها دراسة، أو أن يحيط بها بحث.

أمثلة للتدليل أضفناها، لدينا مثلها عشرات القيادات، ومئات المقاتلين، هم وغيرهم ممن أرفدتهم السجون إلى المجتمع ليقاوموا، ويقودوا مستعينين بخبرتهم وثقافتهم وقناعاتهم، وبالثقة التي اكتسبوها في مجتمعهم.

2- الإلهام والتحفيز ...

شكلت قضية الأسرى إحدى محركات الشعب الفلسطيني، ومصدر إلهام وتحفيز لمشاعره وأحاسيسه وتحرّكاته. فطالما تأثر شعبنا بعناوين ثابتة، كقضية القدس التي حصلت انتفاضات قديمة وحديثة لخطرٍ أصابها أو حدثٍ ارتبط بها، سيما انتفاضة الأقصى التي اندلعت أحداثها إثر قيام الحاقد (شارون) بزيارة مقدساتها.

وكذا كانت قضية الأسرى، والتي نعزوا تأثيراتها إلى دوافع ثلاث: -

الأول أنها قضية عاطفية وجدانية، تمثل المظلومية الفلسطينية وتجسد المعاناة الدائمة، فعندما يُذكر الأسرى تستحضر في الأذهان أشكال المعاناة والاضطهاد، وأجواء القهر والحرمان، فتتحرك مشاعر الشعب الذي عُرف بأنه عاطفي.

ولا شك أن الإنسان بطبعه يقف نصير المظلوم، فكيف إن كان هذا المظلوم أخاه وابنه وجاره.

والثاني تأثير شرعي إسلامي، فما من إنسانٍ إلا ويعلم أن تحرير الأسرى واجبٌ شرعيٌّ يأمر به الدين الحنيف، وقد حرص الشرع على ذلك بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (فكوا العاني) [5]، وفتوى العشرات من كبار علماء المسلمين عبر العصور، والمقام لا يتسع لذكر هذه الأدلة والتفاصيل بالتفصيل.

والثالث أنها قضية تمس كل بيت أو تكاد، فما من بيت فلسطيني إلا اعتقل فيع فرد أو اثنين أو أكثر. فإن علمت أن أكثر من سبع مئة ألف حالة اعتقال حصلت منذ العام (1967) في الشعب الفلسطيني، الذي يربو تعداد على أربعة ملايين مواطن، تدرك أنها قضية مجتمعية عامة واسعة الانتشار والتأثير.

ويبقى التأثير العاطفي والشعور بالمسؤولية موجوداً في شعور المجتمع الفلسطيني على وجه العموم ولكن وتيرته تزداد، وحرارته ترتفع مع أحداثٍ ومناسبات كيوم الأسير الفلسطيني، ومع سقوط أحد الأسرى شهيداً في زنازين وسجون الاحتلال.

---

(5) رواه البخاري.

إلا أنها تبرز بشكل خاص مع اتخاذ الأسرى خطوات نضالية واسعة تهدف إلى تحسين ظروفهم، ورفع بعض الضيم عنهم، وتخفيف وطأة هجمة السجان عليهم، خطوات تتصاعد أحياناً، وتخرج عن إطار السجن، وتكسب تفاعلاً إعلامياً وتعاطُفاً جماهيرياً.

نذكر على سبيل المثال (إضراب الكرامة) الذي خاضه الأسرى في (2012/04/17) واستمر لمدة (28) يوماً. تفاعل معه الشارع الفلسطيني وانطلقت المظاهرات، ونظمت الفعاليات التضامنية.[6]

وتحرك الشارع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة والخارج، حتى أعرب الشاباك الصهيوني عن خشيته من استمرار الأحداث، وما يمكن أن تسببه من اندلاع لانتفاضة جديدة[(7)]، ثم تكررت المطالبات لمصلحة السجون الإسرائيلية بضرورة الإسراع في حل المشكلة قبل أن يقع المحظور "ويُهدم ما تم بناؤه عبر سنوات[(8)]. وانتهى الإضراب مع خضوع الأطراف الصهيونية (السياسية والأمنية وإدارة السجون) بشهادة طرف ثالث وهو المضربين.

ويظهر هذا التأثير مرة أخرى في عمليات الأسر (الخطف)، التي هي نتاج التأثير العاطفي والشرعي، ومحصلة تحريض وتحفيز وتثقيف يمارسه الأسرى مع من يشاركهم الأسر ويخرج إلى الحرية، ومع قيادات تنظيماتهم لإشعارهم بالمسؤولية المُلقاة على عاتقهم، ومع عموم المجتمع بالدراسات والمراسلات والمناشدات.

وقد أرفقنا قائمة بعدد من عمليات الأسر التي استطاع فيها المقاومون –بتأثير من الأسرى- خطف جنود صهاينة، سعياً لمبادلتهم بأسرى من ذوي الأحكام العالية والمؤبدة.

إذاً فقد شكّل الأسرى وقضيتهم حالة وجدانية ضاغطة على التنظيمات الفلسطينية وقادتها، وعلى مجاهدي ومناضلي الشعب الفلسطيني، ضاغطةً بشكل مباشر وغير مباشر.

مباشر بنداءات الأسرى المتكررة ووسائلهم المتواصلة، ومناشداتهم لمجتمعهم وقادتهم[(9)] وبتحريضهم المباشر لمن يعيش معهم مرارة الأسر، ثم يخرج إلى فضاء الحرية.

---

6) راجع كتابنا (اضراب الكرامة.. سنحيا كراما).

(7) يديعوت أحرونوت (2012/05/12).

(8) يديعوت أحرونوت (2012/05/08).

(9) شهدنا بعد العام (2000) ضغوطات مارسها الاسرى في السجون- وخاصة المؤبدات منهم- على قيادات فصائلهم لتنفيذ عمليات خطف لإطلاق سراحهم. حتى إن بعض الأسرى يرى أن خطف شاليط والمحاولات الأخرى كانت نتاج لهذه الضغوطات والمطالبات.

وغير مباشر بالمعاناة التي يعيشونها، ويتناولها الإعلام ما فيها من تفاصيل مأساوية، وبالقصص التي يحياها أهل الأسير –بالواجب الذي يشعر به المجاهد والمقاوم والقائد والإنسان البسيط اتجاه قضية الأسرى.

الباب الثالث: - نماذج لمقاومة تشكلت من داخل السجون ...

عندما أعلن الاحتلال مراراً أن الأسرى أو من كان في الأسر ثم أفرج عنه أنهم الرافعة الحقيقية، والوقود الأكثر اشتعالاً لأعمال المقاومة. كانت تصريحاته هذه مبنية على إحصاءات وشواهد. تكررت هذه الشواهد في الانتفاضة الأولى، إلا أنها ظهرت بجلاء أكبر في انتفاضة الأقصى.

* فعلى المستوى العام نجد أنّ نسبة مرتفعة من شهداء وأبطال ومقاومي الانتفاضة ومنفذي عمليات المقاومة، ومسؤولي عمليات المقاومة، ومسؤولي العمل الجهادي هم أسرى سابقون.
* وعلى المستوى الخاص سنعرض نماذج لخلايا مجاهدة متميزة أبدعت وأنجزت، كان أعضاؤها أسرى في سجون الاحتلال، وليس الأمر مقتصراً على لك بل أنهم رتبوا وأعدوا لعملهم، وتعاهدوا على مواصلة المقاومة من داخل زنازينهم في قلاع الأسر، فخرجوا ليوفوا عهدهم، وينفذوا مخططاتهم.

سنعرض نماذج رأيناها، وسمعناها من أصحابها مباشرة. نعرض جزئية من قصص هذه النماذج، "وهي كيفية تشكيل الخلية، والتعاهد على العمل بعد الإفراج"، دون أن نسهب في تفاصيل إنجازات وأعمال الخلايا الجهادية.

خلية صوريف ...

خلية الموت، ذات الصيت والشهرة، فقد تميّزت هذه الخلية بأدائها المتقن، وعملياتها الكثيرة الناجحة، والتي بلغت ستّ عمليات، حصيلتها (12) قتيل صهيوني، وأكثر من (60) جريح، وتنوعت عملياتها بين إطلاق نار وتفجير وخطف. وقد استطاعت الصمود لفترة طويلة دون أن تعتقل، والسبب عائد إلى الخبرة الأمنية التي يتمتع بها عناصرها، والتي اكتسبوها من السجن.

أشهر عملياتها عملية أسر الجندي الصهيوني (شارون إدري)، وأشهر الأحداث التي اقترن اسمها بها هي عملية تسليم الخلية التي قام بها جهاز الأمن الوقائي، إذ أنه متهم بتسليم أعضاء الخلية لقوات الاحتلال على حاجز (حوارة) العسكري.

عمل الإخوة (عبد الرحمن غنيمات) و(جمال الهور) في صفوف حركة حماس عام (1993) بالدعم اللوجستي، وتقديم المساندة للمجاهدين ثم كان اعتقالهم عند الاحتلال، وهناك تعرّفوا على الأسرى ومدى معاناتهم، وكان قرارهم بالانخراط في العمل الجهادي بعد الإفراج عنهم والتركيز على عمليات الخطف من أجل تحرير الأسرى.

وفي السجن تعرفوا على المجاهد (أيمن قفيشة) من الخليل، فكان جزءاً من العهد الذي قطعوه معاً على مواصلة الجهاد، وعندما خرجوا من السجن كان منهم ما كان، ولتحليل وتبيان دور الأسر في هذه التجربة نذكر ما يلي: -

وجود الأخوة في السجن جعلهم يبنون شبكة علاقات أثمرت عن اختيار مجاهدين من مناطق أخرى يقوموا بأدوار تجعل الخلية متكاملة الأركان، فكان اختيار المجاهد (أيمن) من مدينة الخليل، وكان اختيار المجاهد (رائد أبو حميدة) من مدينة القدس، ثم ساعدتهم هذه الشبكة في تفاصيل العمل الجهادي.

* ذاق المجاهدون مرارة الأسر، وتعرفوا على مأساة الأسرى ورأوا عدداً من أبناء شعبهم غيّبهم الاعتقال عشرات السنين، فدفعتهم هذه المشاهدة إلى بذل الجهد نحو تنفيذ عمليات أسر لإجراء صفقة تبادل أسرى مع الاحتلال، فكرروا محاولات تنفيذ عمليات أسر مراراً، حتى أثمرت إحداها عن أسر الجندي (شارون إدري) ثم قتله

ودفنه إلى أن تمكنت أجهزة أمن السلطة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي من كشف مكانه.

* تجربتهم الاعتقالية، وثقافتهم العامة التي تلقوها في سجنهم جعلتهم مطلعون على تجارب غيرهم، ويتعلمون بعض الإجراءات الأمنية التي ساهمت بعد الإفراج عنهم في الحفاظ عليهم، بعيدين عن الاعتقال. فتجاوزوا الأخطاء الأمنية التي وقع فيها غيرهم، واستخدموا حيلاً أمنية كانت عاملاً مساعداً في النجاح.
* من ضمن ما تعلمه الأخوة في سجنهم هم وباقي إخوانهم في الخلية، "اللغة العبرية" فاستخدموا هذه المعرفة خيرَ استخدام، ووظفوها في إنجاز عمليتهم المركزية (الأسر). فقد نفذوا عمليتهم بأسلوب "الاستدراج" أي محاورة الجندي وإقناعه بركوب السيارة معهم ومن ثم الانسحاب به إلى نقطة (التخزين) التي حدودها مسبقاً.

بقي أن نذكر أن خلية صوريف المجاهدة بدأت عملها في العام (1995)، واعتقل عناصرها عام (1997).

خلية سلواد ...

هي خلايا ثلاث شكّلت بمجموعها وحدةً مجاهدةً أُطلق عليها اسم (خلايا الشهيد عادل عوض الله)، وهي خلايا، سلواد، كوبر، المزرعة الشرقية.

اشتركت هذه الخلايا في تنفيذ عدد من العمليات الناجحة، زادت بمجموعها عن (12) عملية أثمرت عن (12) قتيلاً صهيونياً، وعدداً من الجرحى، وغنيمة أربعة بنادق (M16) من الجيش الإسرائيلي.

والشاهد في قصة هذه الخلية أن المجاهدين (خالد النجار) و(أحمد النجار) اللذين يمكن اعتبارهما مؤسسي خلية "سلواد"، ومن تناوبا على المسؤولية عنها، كانا أسيرين معاً لدى قوات الاحتلال، وكانت معاناة الأسر وآلام الشعب وهمّ المقاومة حاضراً في ذهنيهما، فتحدثا كثيراً في ذلك. وأخذا قراراً بالبدء بالعمل الجهادي، وتشكيل خلية عسكرية تأخذ على عاتقها تنفيذ العديد من الهجمات الثأرية المسلّحة ضد قوات الاحتلال، وذلك عند خروجهم من السجن.

كان خروج (خالد) قبل (أحمد)، فبدأ يعد للأمر عدته، حتى كان خروج (أحمد)، والتحاقه به، وانضمامه إلى ركب المقاومين في خلية (سلواد)، التي سرعان ما تواصلت مع خليتي (كوبر) و(المزرعة) لينطلق العمل المقاوِم بفاعلية أكبر، وأداء أروع.

واستطاعت هذه الخلية بفضل الله أولاً، ثم بفضل ثقافتهم الأمنية أن تحافظ على نفسها سنتين من العمل المقاوم المسلّح (2001-2003) حيث كان الاعتقال.

وقد كان أكبر مخططات الخلية تنفيذ عملية أسر كبيرة (جماعية) لم يكتب لها التمام، لأن الخلية اعتقلت وهي في مرحلة التنفيذ.

خلية الشهداء من أجل الأسرى ...

ولك أن تقرأ الرسالة من عنوانها، فهي خلية تشكلت بدافع العمل العسكري الموجه للسعي لإطلاق سراح الأسرى في سجون الاحتلال. ذلك أن مجاهديها رجال إما أنهم عاشوا حياة الأسير، ولم يلبثوا أن خرجوا من سجنهم يحملون قضية الأسرى في عقولهم وصدورهم، وإما أنهم مجاهدون على ماس وتواصل وثيق مع الأسرى وأهليهم، فكان ذلك دافعاً لهم للعمل من أجل إطلاق سراحهم.

هذه الخلية تشكلت من ثلاث خلايا مستقلة، اجتمعت على هدف المقاومة، وشكلت وحدة متميزة، نفذت هجمات جهادية أثمرت عن قتل (26) صهيوني، وجرح المئات. وخططت وشرعت في تنفيذ عمليات خطف فردية وجماعية لجنود الاحتلال وقطعان مستوطنيه، إلا أنها لم يكتب لها النجاح في تحقيق الغرض.

عندما أطلق سراح المجاهد (معاذ سعد بلال) –وهو مسؤول إحدى الخلايا الثلاث- صارحه إخوانه الأسرى قبل خروجه برغبتهم في أن يعمل مع إخوانه المجاهدين على إطلاق سراحهم، وتناقشوا في ذلك طويلاً، حتى باتت عنده قناعة أن هذا الهدف على رأس سلّم أولوياته وأولويات المقاومة، وأرشدوه إلى ما يلزم في ذلك. وطلبوا منه أن يحرض على الأمر، وأن ينشر هذه الثقافة.

خرج (معاذ) وقضية الأسرى حاضرة في ذهنه، واضحة في فكره، ولذلك لم يلبث أن بدأ مع إخوانه بتشكيل هذه الوحدة المتميزة. والتي كان همّها الأول (الأسرى)، فكان اسمها وفعلها يصبّان في ذاك الاتجاه.

ولعل نظرة إلى البيانات التي أصدروها بعد عملياتهم التي نفذوها –وإن كانت عمليات تفجير- تشير إلى حقيقة توجههم، فقد ورد في بيان الإعلان عن عملية (مجني يهودا) المزدوجة مطالبة بإطلاق سراح الأسرى، وإلا استئناف العمليات التفجيرية.

ومع عدم استجابة العدو نفذ المجاهدون العملية الثانية (بني يهودا) الثلاثية، ثم أعلنوا في بيان التبني: المطالبة بإطلاق سراح الشيخ (أحمد ياسين)، وقادة الفصائل الفلسطينية، وأسرى الدوريات، والأسرى الإداريون، مع إعطاء مهلة محددة لذلك.

ثم كان الإعداد لعمليات الخطف، والشروع بإحداها، لكن الله قدر ألا تتم المهمة.

إذاً هي أجندة الخلية التي انطلق روّادها من محاضن السجون، ومن معاناة الأسر، وبتحريضٍ وتوجيهٍ ودعمٍ من الأسرى الأبطال.

من خلايا الشمال ...

والنماذج كثيرة، وقد سمعنا من بعض إخواننا الأسرى عدداً من القصص والأمثلة التي تدعم وتؤكد ذات المعنى، ومنها بعض أبطال منطقة شمال الضفة الغربية.

فقد حدثني المجاهد (سليم حجة) المحكوم (16) مؤبداً، كيف بدأت فكرة تشكيل بعض الخلايا المجاهدة من داخل السجون الصهيونية.

فقد جمعه السجن بالشهيد المهندس (أيمن حلاوة) من مدينة نابلس، والشهيد القائد (عبد الرحمن حماد) من مدينة قلقيلية، وما كانوا ليجتمعوا خارج السجن.. فتدارسوا أمر تشكيل خلايا مجاهدة تقوم على عمل مقاوِم يحمل ضمن أهدافه نصرة قضية الأسرى، والعمل على الإفراج عنهم. واتفقوا على الكثير من التفاصيل، قبل أن يجيء موعد الإفراج.

خارج السجن كان اللقاء، وبدأ العمل مع بداية أحداث انتفاضة الأقصى، فكان (أيمن) المهندس الذي أعد الكثير من المتفرجات التي هزت كيان العدو، وقتلت منه العشرات. وكان (عبد الرحمن) الذي شكل جهازاً عسكرياً في مدينة قلقيلية، وأرسل العمليات الجهادية، وأبرزها عملية (الدولفيناريوم) الاستشهادية التي أثمرت عن (22) قتيلاً يهودياً. وكان (لِيم) الذي واكب العمل، وكان مسرولاً عن عدة عمليات أبرزها عملية (حيفا) التي قتل فيها (15) يهودياً.

يروي (سليم) أن أحد أهم الأسباب التي ساعدتهم على النجاح تلك الشبكة الاجتماعية التي تعرفوا عليها في السجن، فأرشدتهم إلى الوصول إلى مجاهدين ونشطاء في عدة مناطق. والقدرة على الاستمرار في المطاردة وقتاً إضافياً. وكان من بواكير عملهم (عملية ميحولا) الاستشهادية، وبطلها الشهيد (هاشم النجار) من الخليل، أول عملية استشهادية في الضفة الغربية أثناء انتفاضة الأقصى.

وكان من بين مساعيهم الإعداد لعملية خطف لم يُكتب لها النجاح.

واللافت للانتباه أن جميع الخلايا التي تشكلت من محاضن السجون أو انطلقت فكرة عملها من هناك، فإنها ولا بد خططت أو نفذت عملية أسر.. وذلك دلالة على أن أثر السجون والأسرى على منطلقها وأهدافها كبير، وأن التأثير الوجداني والعاطفي من عيش الأسير مع اخو انه الاسرى ذوي الاحكام العالية، وذوي الحالات الإنسانية الخاصة ذات تأثيركبير.

صفقة (أحمد جبريل) "1985" ...

نموذج نقف عنده للتدليل على أن الأسير الفلسطيني لا يفقد دوره بعد الإفراج عنه، وتحديداً دوره المقاوِم، فضلاً عن باقي الأدوار الوطنية والمجتمعية.

فقد أسفرت صفقة (جبريل) عن إطلاق معظم الأسرى في حينه [10]، ومنهم عدد كبير من المؤبدات والأحكام العالية، موزعون على جميع فصائل المقاومة.

---

[10] بقي من أسرى المؤبدات في حينه (18) أسيراً فقط.

انخرط هؤلاء المجاهدون والمناضلون في مجتمعهم، فشكّلوا حالة نضالية جديدة، ورافعة ساهمت في نشر ثقافة المقاومة. وقد رأى عدد من المحللين والدارسين أن هذه الصفقة كانت أحد العوامل التي ساهمت في اندلاع الانتفاضة الأولى[11].

هذا الرأي استند إلى عدة شواهد، على رأسها انخراط عدد من المجاهدين والمناضلين الذين أطلق سراحهم في هذه الصفقة في تفعيل وقيادة فعاليات الانتفاضة.

في هذه السطور نستذكر بعض هذه الشخصيات والنماذج نذكرها على سبيل المثال لا الحصر، دون أن نخوض في الكثير من التفاصيل.

أول تلك النماذج وأبرزها وأكثرها أثراً هو الشيخ الشهيد (أحمد ياسين) الذي أُطلق سراحه في الصفقة وقد تبقى له (12) سنة من حكمه. فعاد إلى موقعه القيادي في جماعة الإخوان المسلمين، وساهم مع إخوانه أعضاء المكتب العام في اتخاذ القرار الهام بالتحول إلى العمل الجهادي، واستثمار أي فرصة لتصعيد الأحداث وتفعيل المقاومة، وهذا ما حصل. ولا ننسى الدور العام الذي مارسه الشيخ في الشارع الفلسطيني من خلال خطاباته ومحاضراته ودروسه وتحريضه المباشر، نظراً لما يتمتع به من احترام بين أبناء الشعب الفلسطيني.

والشيخ الشهيد (صلاح شحادة) مثالٌ آخر، وأحد الذين أُطلق سراحهم في هذه الصفقة. وهو أحد مؤسسي حركة حماس، وأول مؤسس للجهاز العسكري لجماعة الإخوان المسلمين في غزة في الثمانينات. عاد ليصبح القائد العام لكتائب القسام، قبل أن يستشهد في العام (2002) وهو على رأس موقعه، بل كان من أبرز المجاهدين الذين أعطوا كتائب القسام زخماً تنظيمياً، وللمقاومين في غزة دعماً وتوجهاً.

أما الشيخ (محمد أبو طير)، فهو أكثر من قضى من أبناء حماس في سجون الاحتلال، حيث زادت سنوات اعتقاله بمجموعها عن ثلاثين عاماً. وأحد مؤسسي الجماعة الإسلامية في السجون الصهيونية. أُطلق سراحه في الصفقة ليعود إلى فعالياته الجهادية، ويُسجن مرة بعد مرة، وانتهى به الحال عضواً في المجلس التشريعي الفلسطيني عام (2006).

---

[11] انظر (شاهد على العصر/ أحمد جبريل) بإعداد قناة الجزيرة الفضائية/ أحمد منصور.

لا نعني بأمثلتنا هذه أن هؤلاء هم فقط من شارك في أعمال المقاومة بعد الإفراج عنهم في صفقة جبريل. فقد قدر لي أن ألتقي مع أحد المناضلين من محرري صفقة أحمد جبريل، أثناء كتابة السطور. وهو المناضل (خيري حنون)، فقد كان له ابنٌ أسير اسمه (ناصر)، جاء خيري لزيارته في سجن (مجدو)، فالتقيته في غرفة الزيارة، وسألته عن الذين شاركوا في أعمال المقاومة من زملائه الذين أُطلق سراحهم معه. فذكر لي عدداً من الشهداء قضوا في أحداث ومواجهات، ومنهم الرفيق (ربحي حداد) من الجبهة الشعبية، والذي استشهد في مدينة نابلس أثناء تصديه لقوات الاحتلال لدى اجتياحهم المدينة عام (2002).

ثم ختم (خيري) كلامه لي بعبارة تصلح شعاراً لما نتحدث عنه، قال: -"العمل المقاوِم ليس فيه تقاعُد"، هذا هو حالهم، فَهُم لم يتقاعدوا عن النضال، وإن غيروا مواضعهم.

وما ذكرناه في صفقة جبريل ينطبق على غيرها، فالمجاهدون والمناضلون الذين خرجوا من السجون ليحدثوا في واقع المقاومة الفلسطينية تغييراً، ويمارسوا فيها دوراً، ويساهموا فيها بقدرٍ ما، هم أكثر من قادة المقاومة من جميع التنظيمات لم أكد أجد أحداً منهم إلا وعاش تجربة الأسر فشكّلت جزءاً من ثقافته.

كالشهيد (جمال منصور)، والشهيد (فتحي الشقاقي)، والقائد (مروان البرغوثي)، والقائد (أحمد سعدات) والشهيد (عمر القاسم) ...

ولا بد أن نشير مرة أخرى أن ذكر هذه الأمثلة يشكل نماذج للاستدلال والاستشهاد، لا للحصر والاقتصار، إذ أننا يمكن أن نؤكد بحكم المشاهدة أن نسبة كبيرة من الأسرى الذين يعتقلون على أعمال مقاومة سبق لهم أن اعتقلوا في سجون الاحتلال. وأن نسبة لا تقل عنها من شهداء.

الباب الرابع: - عمليات الأسر منذ الانتفاضة الأولى عام (1987) ...

عمليات أسر نفذتها المقاومة الفلسطينية، هدفها شبه الوحيد هو تحرير الأسرى الأبطال من سجون الاحتلال، وبالتالي شكل الأسرى فيها عنصر الإلهام والدافع والمحرّك، بل إنّ بعضهم شارك في تلك العمليات ثم كان اعتقاله على يد الاحتلال.

* أسر الجندي آفي سبورتس (1989/02/16) أسرته الخلية (101) التابعة لحركة حماس من داخل الخط الأخضر، وقتلوه وأخفوا جثّته، وبقيت الجثة مختفية لمدة شهرين حتى تمكن الاحتلال من العثور عليها.
* أسر الجندي إيلان سعدون (1989/05/03) الخلية (101) التابعة لحركة حماس أسرته من داخل الخط الأخضر. قتلوه وأخفوا جثته. بقيت الجثة مختفية طويلاً. وجرت مفاوضات من داخل السجون لمبادلتها بأسرى. وتم التوصل إلى شبه اتفاق لإطلاق سراح قرابة مئة أسير مقابلها، إلا أن جهاز الأمن الوقائي كشف مكان الجثة بعد أكثر من سبع سنوات، وسلّموها هدية للمجرم (بيرس) لدعمه في الانتخابات.

* أسر الجندي نسيم طوليدانو (1992/012/14)، أسرته الوحدة الخاصة التابعة لحركة حماس، وأعلنت للاحتلال عبر بيان عن مطالبها بإطلاق سراح عدد من الأسرى، من ضمنهم الشيخ (أحمد ياسين) مقابل إطلاق سراحه، ومع انتهاء المهلة التي منحوها للعدو، قاموا بقتل الجندي ورمي الجثة.
* أسر الجندي يروز (1993/08/05) أسرته إحدى خلايا القدس التابعة لحركة حماس، ولم تتمكن من الاحتفاظ به، فقتلته على الفور، وتخلّصت من جثته دون أن تتمكن من التفاوض عليها.
* أسر الجندي نحشون فاكسمان (1994/10/09): أسرته خلية تابعة لحركة حماس، وتم الإعلان عن الاختطاف عبر شريط فيديو، وأن الجندي لن يطلق سراحه إلا بإطلاق سراح عدد من الأسرى. ولم يستجب الاحتلال للمطالب، وماطل حتى وصل إلى مكان الجندي، وقام باقتحام المنزل الذي تحصّن فيه المجاهدون مع أسيرهم، فقتل الجندي واستشهد الأبطال.
* أسر الجندي شارون إدري (1996/09/09): أسرته خلية الموت (خلية صوريف) وقتلته واحتفظت بجثته سعياً لإجراء عملية تبادل أسرى في الوقت المناسب. إلا أن تعاوناً استخبارياً بين أجهزة أمن السلطة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي أدى إلى كشف موقع الجثة بعد سبعة أشهر من الخطف.
* أسر رجل المخابرات ساسون (2005/09/19): أسرته خلية تابعة لحركة حماس من منطقة رام الله، وبثوا شريطاً مصوّراً للأسير، وعرضوا مبادلته مع أسرى فلسطينيين، إلا أن الخلية وقعت تحت ضغط البحث المكثّف الذي مارسه الاحتلال وأجهزة السلطة الفلسطينية، مما اضطرهم إلى قتله، ومحاولة الاحتفاظ بجثته إلى أن استطاع الاحتلال كشف موقعها.
* أسر الجندي جلعاد شاليط (2006/06/25) عملية الوهم المتبدد الشهيرة التي نفذها أبطال كتائب القسام بمساعدة ألوية الناصر صلاح الدين، واستطاعت أسر الجندي والوصول بها إلى قطاع غزة، والاحتفاظ به هناك لفترة قياسية، زادت عن خمس سنوات، ثم استطاعت إجراء عملية تبادل أسرى سميّت (صفقة الوفاء

للأحرار) بعد عملية تفاوض غير مباشرة شاقّة وطويلة، خرج بموجبها (1029) أسير وأسيرة فلسطينيين، منهم (450) من ذوي الأحكام المؤبدة والعالية، واعتبرت الصفقة الأفضل من بين الصفقات السابقة.

* أسر رجل الأعمال الإسرائيلي الحنان تينينباوم (اكتوبر / 2000) أسره حزب الله باستدراجه إلى لبنان، واحتفظ به حتى قام بتسليمه للعدو ضمن صفقة تبادل أسرى وُصِفت أنها مخيبة للآمال في (2004/01/26) مع ثلاثة من جثث الجنود الإسرائيليين مقابل إطلاق سراح (400) أسير عربي.
* أسر الجنديين إيهود غولدفاسر وإلداد ريغف (2006/07/12) نفذ حزب الله عملية الوعد الصادق على الحدود الفلسطينية اللبنانية بهجوم ناري على جيب إسرائيلي، وخطف الجنديين، إلا أنهما كانا قد قُتِلا، وقد فاوض عليهما دون أن يكشف عن مصيرهما، حتى سلّمهما مقابل إطلاق سراح المناضل اللبناني (سمير القنطار) وبضعة أسرى.
* أسر الجنديين شاؤول أرون في (2014/7/20) وهدار غولدن في (2014/8/1). اثناء احداث معركة العصف المأكول التي اندلعت بين المقاومة في قطاع غزة وجيش الاحتلال الإسرائيلي، واستمرت واحد وخمسون يوما، ولا زالا بيد المقاومة في غزة، ولا زالت وضعهما غامضا حتى لحظة كتابة السطور.
* اسر الجندي افرا منغستو في (2014/9/7). اجتاز منغستو الحدود مع قطاع غزة في ظروف غامضة، ثم اختفت اثاره. ولا زال بيد المقاومة حتى لحظة كتابة السطور.
* اسر الجندي هشام السيد في (2015/4/20). ذكرت المصادر الإسرائيلية ان هشام دخل الى قطاع غزة عبر ثغرة في الشيك الحدودي مع قطاع غزة، ثم اختفت اثاره. ولا زال بيد المقاومة حتى لحظة كتابة السطور.

بالنظر إلى ما سبق من عمليات، نلحظ ما يلي: -

⇐ جميع العمليات السابقة - باستثناء الاسر في قطاع غزة - شارك فيها إعداداً وتنفيذاً مجاهدون سبق أن مرّوا بتجربة الأسر.

⇐ جميع العمليات السابقة نفذت بهدف إطلاق سراح أسرى مقاومة من خلال عمليات تبادل مقابل الجندي الأسير أو جثّته.

⇐ بالإضافة إلى ما سبق ذكره من عمليات، فإن هناك عمليات أسر عديدة ناقصة لم تكتمل كأسر الجندي (روتنر) الذي أفلت من أيدي آسريه. والجندي (الون كورفاني) الذي نجح الآسرون في خطفه، وقاموا بطعنه طعنات عديدة، لكنه نجا من الموت بعد أن ظن المجاهدون أنه ميت فتركوه وفيه رمق. إضافة إلى عشرات المحاولات التي لم يُكتب لها النجاح، ومئات عمليات التخطيط التي لم تدخل حيّز التنفيذ.

⇐ عمليات الخطف التي انطلقت من الضفة الغربية كان عنصر (مجاهدي القدس) حاضراً على الدوام، لقدرته على الوصول إلى كلّ مكان، ولمعرفته باللغة العبرية. أما عمليات الخطف التي انطلقت من قطاع غزة (شاليط) أو جنوب لبنان، فقد كان عنصر (الهجوم) حاضراً لأنه خطف بالقوة على الأغلب.

⇐ وجود أسرى لحزب الله (عبد الكريم عبيد) و(مصطفى الديراني) وغيرهما دفع الحزب لتنفيذ عمليات الخطف. حتى عندما بقي المناضل (سمير القنطار) وحيداً بقي دافعا لخطف موجوداً إلى أن تم تحريره. مما يؤكد على أنا لأسرى هما لدافع الحقيقي لعمليات الأسر.

في هذا الكتاب ...

لعل الكلمة الأبرز التي تصاحب الأسير في رحلة الاعتقال داخل السجون هي (المقاومة).

ارتكزت أشكال المواجهة التي يعيشها الأسير داخل سجنه على أساسين: - المواجهة الفكرية، ومواجهة الواقع الحياتي.

مع ازدياد أو تناقص أعداد الأسرى أثبتت السجون أنها تشكل مقياساً لحيوية الشعب.

تساهم تجربة الاعتقال في جعل الأسير رجل مقاومة ناجح، عبر البرنامج الثقافي الذي يتلقاه، والوسط الذي يعيشه، والمعاناة التي يتعرض لها.

في السجن معركة دائرة: - سلاحها الأمعاء الخاوية، والعقول المستنيرة... زادُها الصبر والإيمان والإصرار ... ميدانها زنازين السجون ... أبطالها الأسرى بصدورهم العارية.

من أبرز ما يقدمه الأسير للمقاومة من دعم، هو (جور الإلهام والتحفيز).

ما من عملية أسر نفذتها المقاومة، إلا كان الأسرى حاضرين فيها، وعنواناً لها.

قائمة بأسماء دراسات جهادية وأمنية أصدرها الأسرى ...

هذه القائمة تحوي أسماء بعض الدراسات ذات الطابع الأمني أو الجهادي، التي أصدرها الأسرى، وهي جزء محدود من إصدارات الأسرى في هذا الباب. أوردناها لندلل على الأُر الفكري الذي يصنعه الأسرى في دعم قضية المقاومة...

1- الخيانة سرطان الشعوب: - دراسة في أساليب الاحتلال ووسائله في إسقاط أبناء الشعب الفلسطيني في وحل الخيانة. تحوي الدراسة عشرات القصص الحقيقية التي رواها عملاء عن كيفية إسقاطهم، إضافة إلى طرق الوقاية منها.
2- الصراصير طريق الخداع: - دراسة تتحدث عن "العصافير" العملاء داخل السجن، أنواعهم، وأدوارهم، وكيفية الوقاية منهم.
3- صراع في الظلام: - كتاب يحوي أساليب التحقيق التي يستخدمها الشاباك ضد الأسرى، ويبين كيفية مواجهتها.
4- أمن المطارد: - كتاب يعرض الخطوات التي يجب على المطارد أن يتبعها لكي ينجو من ملاحقة الاحتلال له، ويطيل عمر مطاردته وجهاده.
5- أجهزة الأمن الصهيونية: - دراسة تحوي أسماء أجهزة الأمن الصهيونية، هيكليتها، أدوارها، وبعضاً من أعمالها.
6- التكنولوجيا ونظرية الأمن: - دراسة تشرح قدرة العدو على ضرب المقاومة عبر التكنولوجيا، وتعرض بعض أشكال التكنولوجيا المستخدمة في ذلك.
7- أمن الاتصالات: - شرح لكيفية سقوط المجاهدين في قبضة الاحتلال عبر الاتصالات، وعرض للاستخدام الأمثل لوسائل الاتصالات، والوقاية من هذا الخطر.
8- ستائر العتمة: -
9- مدافن الأحياء: -
10- عندما يزهر البرتقال: -
11- حرب العصابات: - بين النظرية العلمية والتطبيق الفلسطيني: - كتاب يعرض مدارس حروب العصابات وأدواتها وأساليبها، وكيفية استفادة المقاومة الفلسطينية منها، وعرض لبعض أخطاء المقاومة التي وقعت فيها.

12- الشيفرة والترميز: - دراسة تحوي عدداً من لغات الشيفرة البدائية والتي يمكن للمقاومة أن تنتهجها وتستفيد منها، مع عدد من الملاحظات لتقويتها.

13- المقاومة بين النظرية والتطبيق: - نظرة على المقاومة الفلسطينية، وأدواتها، وتقييم لبعض أعمالها، وتوجيهات عامة للمقاومين.

14- عمليات الثأر المقدس: - الرواية الكاملة لقصص عمليات الثأر للمهندس الشهيد يحيى عياش (1996) على لسان أصحاب التجربة.

15- مقاومة الاعتقال: - كتاب يعرض أساليب مقاومة الاعتقال في سجون الاحتلال، بدءاً من مرحلة التحقيق، مروراً بجميع مراحل الاعتقال.

16- كتيبة الشمال: - توثيق تاريخي لبعض أعمال المقاومة، وتوجيهات عامة للمقاومين والمجاهدين.

17- بارود القسام: - تحليل ودراسة لعميات إطلاق الناس في المقاومة الفلسطينية منذ الانتفاضة الأولى.

18- مهندس على الطريق: - تجربة شخصية في المقاومة تعرض صفحات من المقاومة لأصحابها.

19- حكاية الدم من شرايين القسام: - عرض لمرحلة من العمل المقاوم والتجربة الشخصية، مع دروس وعبر.

20- نظرة للمقاومة من الداخل: - كتاب يلقي الضوء على المقاومة الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى، تحليلاً وتوجيهاً.

21- صفحات من جهاد أبناء القسام: - كتاب توثيقي يسرد قصص عمليات بطولية ضمن المقاومة الفلسطينية المسلحة.

22- براكين المقاومة: - دراسة تحليلية لعمليات التفجير في المقاومة الفلسطينية منذ الانتفاضة الأولى.

23- صناعة الحياة (تحرير الأسرى): - دراسة تحليلية توجيهية لعمليات الخطف في تاريخ المقاومة الفلسطينية.

24- مذكرات قساميه ... شقة رقم (10): - مذكرات شخصية لمرحلة مقاومة، تحوي دروس وعبر للمجاهدين.

25-التجربة الاعتقالية وأساليب التحقيق: - عرض للأساليب التي يستخدمها الاحتلال مع المجاهد لانتزاع الاعتراف منه، منذ لحظة الاعتقال وحتى نهاية التحقيق.

26-الاتصالات بين الحاجة والأمن: - دراسة حول الاتصالات واستخداماتها في العمل الجهادي، ومخاطر ذلك، وطرق الوقاية منه.

27- إعرف عدوك: سلسلة نشرات تشرح الواقع الصهيوني؛ أمنياً، اقتصادياً، واجتماعياً... ومواطن القوة والخلل.

الفهرس...

إهداء	
تقديم	
الفصل الأول – الحياة داخل السجون.. تطورها.	
الفصل الثاني – مقاومة داخل الأسر.	
الفصل الثالث- دور الأسير في تفعيل المقاومة.	
الباب الأول: - عوامل جعلت الأسير رجل مقاومة ناجح.	
الباب الثاني: - دور الأسرى في دعم المقاومة.	
الباب الثالث: - نماذج لمقاومة تشكلت داخل السجون.	
الباب الرابع: - عمليات الأسر منذ الانتفاضة الأولى.	
قائمة بأسماء عدد من الدراسات الجهادية الأمنية التي أصدرها الأسرى.	
الفهرس.	